المصرين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله اولم يسيروا في الارض وهو استفهام بتقرير سيرهم ونظرهم
الى آثار المدمرين قبلهم وبعد تقرير ذلك ذكر انهم اهل مكة اولى بالاهلاك لان من تقدم من عاد و
ثمود كانوا اشد من اهل مكة قوة واكثر اموالا وعمارة ولم ينفعهم قوتهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم
وحصونهم قوله او الايات الواضحات اي دلائل الحق وبراهينه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحلال
والحرام والحدود والاحكام قوله فما كان الله ليظلمهم قبله مضمر تقديره او لم يؤمنوا فاهلكهم
فما ظلمهم الله تعالى بتعذيبهم من غير ذنب وثم في قوله ثم كان لترتيب الاخبار وقرأ نافع و
ابن كثير وابو عمرو عاقبة الذين بالرفع على انه اسم كان وتذكير كان مبني على ان تانيث عاقبة غير حقيقي
والسوءى خبر كان واختار المصنف هذه القراءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العاقبة
السوءى وقوله ان كذبوا اما علة بتقدير لام العلة اي لان كذبوا او بان ... اي باكذبوا
واما بدل او عطف بيان للسوءى ولا شك ان التكذيب ... سوءى ... عقوبة سوءى فيصح
ان يكون بدلا او عطف بيان لعقوبة السوءى ومحصلة السوءى فمعنى الاية ثم كان التكذيب اخر
اي مانحا على ذلك جازاهم الله تعالى ... على اسائتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب
ويحتمل ان يكون قوله ان كذبوا خبر كان وحينئذ يكون السوءى مصدرا بمعنى الاساءة
منصوبا باساؤا او يكون مفعول اساؤا المضمر بمعنى اقترفوا والمعنى ثم كان عاقبة الذين
اقترفوا الخطيئة التي هي سوء الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا
بها فان السوءى تانيث الاسوء بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو قوله ويجوز ان يكون
السوءى صلة الفعل اي مفعول اساؤا وهو ان يكون السوءى مفعول اساؤا ايضا وان كذبوا
عطف بيان لها وبدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا
الخطيئة السوءى وهي التكذيب والاستهزاء ما لا يمكنه كنهه ولا يقادر قدره في
الشدة والفضاحة ثم انه تعالى لما ذكر عاقبة المسيئ العقوبة السوءى قرره للبيان
ان المخلوقات باسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه ترجعون للجزاء ثم بين ما يكون وقت
الرجوع اليه فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون
آيسين من كل خير ساكتين متحيرين قوله التي لا ترغوا من الرغاء وهو صوت من ذات
الخف يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا ضج وابلست الناقة اذا لم ترغ من شدة الضبعة
وهي شهوة الناقة الفحل قوله يكفرون بالهتهم على ان الباء في قوله بشركائهم صلة
كافرين وما قبل ... على ان الباء ... قوله وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا
بني اسرائيل بالواو قبل الالف على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة

الصلوة والزكوة ثم ان الالف المكتوبة على صورة الالف للواو واذا كانتا اخرا جمع بينهما رسم الواو
في اثر سهم كما في الربوا وعلموا بخلاف المكتوبة المتوسطة كما في الصلوة والزكوة قوله لفقراء واما الى ادم
الذين وجه الاستدلال ان الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون قوله تحللت اي تلالات
ولمعت قال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ما روي انه يخرج من النار رجل قد ذهب حبره
وسبره اي جماله وبهاؤه والتحبير التحسين والفاء في قوله تعالى فاما الذين آمنوا
لتفصيل ما اجمل في قوله يومئذ يتفرقون اسند التفرق الى فريقي المؤمنين والكافرين
المذكورين على الاجمال ثم فصل حالهما وبين مصيرهما وعدا في حق احدهما ووعيدا
في حق الاخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله فان الفاء فيه فاء
الجزاء بشرط محذوف والا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم
مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المعرضين عن طاعته والمقبلين اليها
فسبحوا الله تسبيحا في هذه الاوقات وهذا معنى قول المصنف ان قوله تعالى فسبحان الله
خبر في معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بالامر
بل جعله منصوبا بالفعل الاخباري ... فعل الامر لكونه مصدرا لايقاع الجزاء والامر بل
الجمل الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه
ولو جاز تعليقه لزم تاخيره عن زمان التلفظ وانه غير جائز وانما الجائز المعلق بالشرط
هو الاخبار عن انشاء التمني والترجي وانشاء المدح وانشاء الذم والاستفهام ونحوها
فاذا قلت ان فعلت فعلا كذا غفر الله لك او نعم ما فعلت كان المعنى فعلت ما تستحق بسببه
ان يغفر لك وان تمدح بسببه الا ان الجملة انشائية اقيمت مقامه للمبالغة في الاستحقاق فمعنى الدلالة على
الاية اذا كان الامر كذلك اي كما تقرر اي فانتم تستحقون لله تعالى في الاوقات المذكورة وهو في معنى الامر
بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار في معنى الامر بالثناء عليه فكانه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم
تسبيح الله ... وصلا الى الوعد وينجيان من الوعيد قوله يظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص وتحميده الذين
هذه الاوقات بالتنزيه قوله يتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء قوله
او دلالة عطف على قوله اخبار في معنى الامر يعني مجرد كونه اخبارا ما ينبئنا ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه
اخبارا لله وانما الاحتمال كونه في معنى الامر او لمجرد الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على
تنزيهه تعالى عن سمات النقص والامكان واستحقاقه الحمد والثناء من كل لسان من السن الملائكة والانس والجن
قوله لان آثار القدرة والعظمة فيها اظهر حيث انه يتبدل فيها احد الضدين بالاخر كتبدل الظلمة
بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الموت وبالعكس واصبح وامسى من الافعال الناقصة الا ان قوله تصبحون وتمسون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)